مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 08 العدد 03 جوان 2025 ص ص368ـ380
ر س ع و (ISSN): 2602ـX618 / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

فاطمة قادرية خضرة: سيرة ومسيرة لأول عالمة آثار جزائرية

Fatima Kadaria Kadra: Biography and Career of the First Algerian Female Archaeologist

مجاني عزالدين ♦
Azzeddine.medjani@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2025/02/03	تاريخ القبول: 2025/06/13	تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص باللغة العربية:

يعتبر هذا المقال بمثابة تكريم شخصي لذكرى علم من أعلام مدينة وولاية تيارت وهي الباحثة فاطمة قادرية خضرة ، أول عالمة آثار جزائرية ، والتي تخرجت من جامعة الجزائر وكانت ضمن أول فرقة بحث جزائرية في ميدان علم الآثار وكانت العنصر النسوي الوحيد ضمنها ، هذا الميدان الذي لم يكن معتمدا بعد كتخصص قائم بحد ذاته ما بين 1962 و1967. في هذا المقال محاولة لرسم سيرة ذاتية تجمع مابين الحياة الشخصية والمهنية لفاطمة ، من أحداث طفولة مشتتة ثم سنوات دراسية حالمة إلى مسارات مهنية مشرقة تتباهى بها المرأة الجزائرية. كرست الباحثة حياتها في السفر شرقا وغربا في الجزائر ضمن بعثات أثرية و أستقرت أبحاثها حول معالم الجدار بتيارت أين قامت بنشر أطروحتها للدكتوراه حول هذه الأضرحة و التي تعتبر مرجعا أساسيا حولها. كما تسلمت مهام مسؤولة في مختلف مصالح و مؤسسات وزارة الثقافة. رصدنا في المقال كل أعمالها البحثية المنشورة كما تشرفت برصد شهادتين حيتين من زميلين لها .

الكلمات المفتاحية: فاطمة خضرة ؛ الجدار ؛ تيارت ؛ علم الآثار ؛ قادرية

Abstract: This article is a personal tribute to the memory of one of the icons of Tiaret, Fatima Kadaria Kadra, the first Algerian female archaeologist, who graduated from the University of Algiers and was part of the first Algerian research group in the field of archaeology and was the only female element within it, this field that was not yet recognized as a specialization standing by itself between 1962 and 1967. In this article, an attempt is made to draw a biography that combines Fatima's personal and professional life, from the events of a scattered childhood and then dreamy years of

♦ المؤلف المرسل

study to a brilliant career that Algerian women are proud of. Fatima devoted her life to travelling east and west in Algeria working on archaeological missions and settled her research on the features of monuments of the Djeddar in Tiaret region and she published her doctoral thesis about them, which is considered a basic reference. She also assumed responsible positions in various departments and institutions of the Ministry of Culture. In the article, we monitored all of her published research works, and I was honoured by live testimonies from two of her colleagues.

Keywords: FatimaKadra ; Djeddar ; Tiaret ; Archaeology ; Kadaria

مقدمة:

لم تكن لي معرفة شخصية بالباحثة فاطمة قادرية ، غير أن معرفتي بها كانت خلال أعمالها و منشوراتها وخاصة أطروحتها حول معالم الجدار التي بها ولجت تجاربي التكوينية الأولى في البحث العلمي. فكرة تكريمها كانن وليدة حدث علمي في تيارت حول المعالم الأثرية بتيارت عام 2021 أين قمت بعرض أبحاثها حول معالم الجدار ، لكن كنت مصرا على الذهاب أبعد من السيرة العلمية إلى سيرة ذاتية تجمع الحياة الشخصية و المهنية. الأمر كان صعبا نظرا لعدم توفر أي شيئ حولها ، فبصرف النظر عن بعض منشوراتها القليلة ، لا يجد مصدر عن حياتها المهنية ومسارها التعليمي و لا عن حياتها الشخصية. عدا بعض الدردشات من الحين و الآخر مع زملائها. يأتي هذا العمل ثمرة هذه الأحاديث الجانبية مع الباحثين أمثال صباح فردي و نصيرة بن صديق و آخرون في مناسبات متفرقة.

في هذا المقام ، لا مناص من ذكر مصدر مهم وملهم لي وهو التكريم الذي قامت به الباحثة صباح فردي مع ثلة من الباحثين و الذي نشرته بمساهمة من المركز الوطني للبحث الأثري C.N.R.A عام 2014. حصلت من خلال هذا الكتاب على معلومات كافية عن حياتها ومسيرتها المهنية. كتاب[1] صدر تحت عنوان (l'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances) فيها تصدير

1 L'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances, Hommage à Kadria Fatima Kadra, CNRA, imprimerie Mauguin, Blida, 2014

نابض بالمجد من أختها هوارية خضرة حجاجي (التي رحلت عنا عام 2019)[2]. إتصلت من جانبي بزملاء وأصدقاء سابقين لها والذين أرسلوا لي شهاداتهم المكتوبة و التي ترجمتها حرفيا ، وأغتنم هذه الفرصة لأشكرهم مرة أخرى على تعاونهم وهم البروفيسور عبد الرحمن خليفة و الباحث جان بيير لابورت (Jean-Pierre Laporte).

إشكالية هذا المقال تتمحور أساسا حول الحياة الشخصية و مسيرة الباحثة و عن مسارها المهني و العلمي ، وبناءا على هذا ، كيف كانت بدايات أول عالمة آثار في الجزائر ؟ و ما هي أبرز إسهاماتها في ميدان البحث الأثري ؟

1- أيام الطفولة:

ولدت فاطمة قادرية خضرة سنة 1939 بوهران ، اليوم والشهر غير معروفين وهذا ليس غريبا في وقت لم تكن العائلات الجزائرية تعلن فيه عن المواليد في الوقت المناسب لمصالح الإدارة الاستعمارية ، إما عن طريق الإهمال أو اتباع العادات المحلية لكل منطقة. قرر والدها الذي كان على ما يبدو رجلاً متعلمًا وموظفًا إدارياً ، الاستقرار في السوقر في عام 1942 ، وهي بلدة ريفية صغيرة في ذلك الوقت ومحافظة للغاية مع إخوتها وأخواتها ، خمس فتيات وثلاثة أولاد.

غادرت فاطمة منزل والديها في وقت مبكر جدًا لتذهب للعيش مع أحد أقارب والدها ، وهما زوجان بلا أطفال يعيشان في ريف بمنطقة تلمسان ، وكانت تجربة صعبة للغاية بالنسبة للفتاة الصغيرة خاصة وأن الزوجين لم يكونا كريمين عاطفيا وغير قادرين على حب الأطفال وتربيتهم كما تذكر شقيقتها هوارية[3]. تغيّر مجرى الأحداث لما غيّر الزوجان مكان إقامتهما وذهبا ليستقرا في منطقو زمورة (غليزان) حيث عيّن والدها بالتبني مسؤولا (قايد) عن دوار فليتة أين تحصلت على فرصة العمر عندما تم قبولها في المدرسة الابتدائية في هذه المنطقة وتمكنت من مزاولة تعليمها[4].

2- مراحل التعليم:

2(1950-2019) أستاذة اللغة الفرنسية بين 1977 و1993 بمعهد الترجمة بالجزائر ، مديرة قسم اللغة والأدب الفرنسي بجامعة الجزائر ، أستاذة محاضر سنة 1986

3 Kadra-Hadjadji (H), « l'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances, » , Hommage à Kadria Fatima Kadra, CNRA, imprimerie Mauguin, Blida, 2014, p. 16.

4Kadra-Hadjadji (H), op. cit; p. 16.

إكتشفت فاطمة عالماً آخر في المدرسة وبدأت في التعرف على أشخاص آخرين وأصدقاء وزملاء ومعلمين وكان هذا بمثابة ملجأ من سوء المعاملة وظلام الجهل ، لا بد من القول أنه في ذلك الوقت ، كانت قلة قليلة من الفتيات من لديهن فرصة الذهاب إلى المدرسة ، وخاصة اللواتي ينتمين إلى عائلات جزائرية تعيش في بيئة محافظة. تصف لنا شقيقتها هوارية ، التي كانت تذهب من وقت لآخر لقضاء العطلة معها في زمورة ، لحظات اللقاء بين أختين تجمعهما علاقة وثيقة للغاية: "... كنت أصف لها ما هي عليه مدرسة مدينة تيارت ، و أني أدرس التاريخ الذي أحبته و تعلقت به ، خاصة اللغة اللاتينية... هكذا كنت أسرد لها الأساطير اليونانية والرومانية ، وأسماء الآلهة والأبطال... رفعت وجهها نحوي وعيناها مفتوحتان على مصراعيهما ، إستساغت كل كلماتي فضحكت من السعادة. [5]»

لقد كانت هذه اللقاءات مصدر إلهام لفاطمة و أبدت رغبة في دراسة التاريخ . بعد سنوات قليلة ، تم قبول فاطمة في الصف السادس بمدرسة تيارت ، ولم يذكر مصدرنا ظروف هذا الإنتقال ، وقد تم إيواؤها في المدينة رفقة أختها هوارية من طرف أحد أقارب والدهما. بدأت تتعلم اللاتينية واتجهت إلى القراءة وأصبحت مهتمة بالتاريخ مع أختها الكبرى ، واستطاعت كل منهما التمسك بدراستها وشغفها في التعلم ، رغم الظروف القاهرة[6]. حين العطل تنفصل الأختان وتعود فاطمة إلى عائلتها بالتبني في زمورة.

توفي والدها بالتبني سنة 1955 ، و عادت فاطمة إلى عائلتها في السوقر ، إجتمعت مع من تحب في بيئة عائلية من شأنها أن تدفع بها نحو الأفضل. على عكس المرجو ، يأتي إضراب طلبة الثانويات والجامعات إبان الحرب التحريرية المجيدة و كانت فاطمة تدرس في ثانوية تيارت الحديثة (حاليا ابن رستم) ، وكان والدها قلقا بشأن مستقبلها ، سعى وراء تعيينها مع أختها الكبرى كمعلمتين ثم توظيفهما مع أخت أخرى لها في مصالح إدارية بالسوقر. وهكذا ضاع حلم الدراسة وتحطم الطموح في سيرة علمية.

تطورت الأحداث لما غادرت أختها هوارية الجزائر إلى فرنسا دون علم والدها لمواصلة تعليمها العالي ، وكما وعدت أختيها ، وبقدر كبير من الصعوبة والمخاطرة ، تمكنت من إقناعهما بالحضور إلى جانبها و هذا ما حدث ، حيث تمكنت فاطمة من إستئناف دراستها في مدرسة "جول فيري" الثانوية في باريس. عادت فاطمة مرة أخرى بفضل أختها إلى عالم الدراسة وأكملت دراستها بتفوق وحصلت على شهادة البكالوريا في

5Ibid, p 17.
6 Ibid, p.16.

الفلسفة والأدب في يونيو 1962. التحقت بعدها فاطمة بجامعة السوربون و بدأت دراسة علم التاريخ.

3- التعليم العالي و التكوين في علم الآثار:

على إثر أحداث أو خيارات خارجة عن معرفتنا ، عادت فاطمة إلى حضن الوطن وانضمت إلى كلية الآداب بالجزائر لمواصلة دراستها ، فأكملت شهادتها وبدأت مغامرة جديدة في مجال علم الآثار. كان لفاطمة شغف كبير بالتاريخ و كان علم الآثار أحد روافده التي تتيح فرص الحفر والاكتشافات ، خاصة وأنها كانت تميل بشكل كبير إلى التاريخ القديم للجزائر. لكن ، في تلك الفترة مجال علم الآثار في بلادنا لم يعد كما كان في فترة الاستعمار ، ومن المعلوم أنه لم يكن هناك تكوين جامعي في علم الآثار في السنوات الأولى من الإستقلال حيث شهدت كافة قطاعات الثقافة و التعليم ركودا لسنوات عديدة ، وعانى التراث الثقافي والتاريخي والأثري من نقص الخبرة والإشراف العلمي التقني اللذين يعتبران ضروريين للإدارة السليمة ، ومن أبرز نقاط الضعف في هذا المجال كان غياب الكوادر العلمية الجزائرية المتخصصة في مجالات مثل علم الآثار والمتاحف وحفظ وترميم المعالم والمواقع الأثرية[7].

بالرغم من حداثة الإستقلال ، تم رفع التحدي لمحاولة سد الفراغ حين تم تشكيل أول هيئة لعلماء الآثار المبتدئين الجزائريين بين عامي 1962 و1967 ، وهو ما يعتبره الباحث بوشناقي "إحدى المراحل الأساسية لمقدمات البحث الأثري والعمل لصالح التراث الثقافي الذي تم تكريسه لأول مرة في الجزائر"[8]. تلقت فاطمة قادرية خضرة تعليما عاليا في جامعة الجزائر وكانت من أوائل المتخرجين في ميدان التاريخ والجغرافيا. في ظل غياب التكوين الجامعي في علم الآثار ، بدأت فاطمة وزملاؤها العمل الميداني مباشرة من خلال الحفريات الإنقاذية في مواقع عديدة ، والتي لحسن الحظ لم تتوقف ، منذ ذلك الوقت. أشرف على عملية التكوين هذه أساتذة بالكلية منهم رشيد بورويبة ، وبول ألبرت فيفرييه (Paul Albert Février)، و محفوظ قداش ، و سيرج لانسيل (Serge Lancel)، وآسيا جبار ، و شارل إيمانويل دوفور (Charles Emmanuel Dufourq)، و جيهان

7 Beghdadi - Rebahi, (Y), « L'institutionnalisation des services du patrimoine Algérien (1962- 1975) à la recherche d'une voie », مجلة قضايا تاريخية، ع.12، جوان 2020

8 Bouchenaki (M), l'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances, Hommage à Kadria Fatima Kadra, CNRA, imprimerie Mauguin, Blida, 2014, p. 11.

دوسانج (Jehan Desange)، و فيليب لوفو (.Philippe Leveau). قامات في التاريخ وعلم الآثار[9]. شاركت فاطمة منذ عام 1965في جميع أعمال الحفريات الإنقاذية التي قادها البروفيسور بول ألبرت فيفرييه. بصفتها ملحق بالبحث في مصلحة الآثار منذ عام 1966 والتي كان أفرادها يعدون على أصابع اليد الواحدة حيث كانت هيو و رشيد دوكالي، وروبرت لوكيمون (Robert Lequément)، ومنير بوشناقي، ثم بعد ذلك بقليل انضم إليهم عبد الرحمن خليفة، وسعيد دحماني، ومسعود مداد، وهو مجاهد سابق وسجين سابق في سطيف كان بول ألبرت فيفرييه يعرفه وساعده لاستئناف دراسته[10].

تم منذ عامي 1968 و1969، توكيل مسؤوليات مباشرة عن أعمال ميدانية لكل من فاطمة وزملائها وبالتالي كانت مهتمة بشكل طبيعي بالآثار الجنائزية الجدار في تيارت، وهي منطقة أثرية تعرفها جيدًا منذ طفولتها. يرجع هذا الاختيار ربما إلى الرغبة التي رافقتها منذ طفولته في معرفة هوية هذه الآثار وإثراء المعرفة حول هذه الأضرحة التي يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والسابع للميلاد. هكذا بدأت رحلة أول عالمة آثار في الجزائر المستقلة، والتي ستتوج بمناقشة أطروحة دكتوراه تحت عنوان " Monuments funéraires berbères de la région de Frenda " تحت إشراف بول ألبرت فيفري، بدعم من 1974، في جامعة آكس أون بروفانس بمرسيليا.

4- العمل الميداني و حفريات الجدار:

معالم الجدار هي أضرحة في منطقة فرندة بتيارت، ذات مخطط مربع وتاج هرمي، ترتفع على تلّتين، جبل الأخضر إلى الشمال وجبل العروي إلى الجنوب. أول هذه المقابر تحتوي على ثلاثة أضرحة، تم الإشارة إليها تقليديًا منذ وقت "دي لا بلانشيير" بالأحرف A وB وC. تجدر الإشارة إلى أننا مدينون لهذا الباحث بالأوصاف العلمية لهذه المعالم[11] التي تم إكتشافها عام 1842 ثم إلى أعمال التنقيب على يد الباحثة فاطمة قادرية خضرة في عامي 1968-1969، وخصت الباحثة بأعمال التنقيب كل من الجدار (أ)، (ب)، و(ج)، بالإضافة إلى إعادة ترميم مدخل جدار (ف). يوجد عشرة أضرحة في جبل العروي: وهي جدار من D إلى M. وقد أصبحت هذه التفاصيل ضرورية في أعقاب اللبس الذي أحدثه

9 Bouchenaki (M), Enjeux et défis des premières années de l'Archéologie algérienne (1966-1976), Hespéris-Tamuda LVII (2), 2022, p. 494

11 De la Blanchère (R), archive des missions, 3eme séries, X, 1883, p 79-99 et 127-129.

الباحث قزال الذي وصف ضريحين فقط في جبل الأخضر (الذي يسميه (د) أضرحة (أ) و(ب) وواحد فقط في تيرناتن ، وهو الأكبر على الإطلاق ، والذي أطلق عليه خطأً الحرف (ج) [12] ، كان لا بد من انتظار العمل المهم الذي قامت به فاطمة للحصول على توثيق ودراسة مبنية على حفريات منتظمة[13].

دون الخوض في الكثير من التفاصيل ، لن أذكر جميع الملاحظات والاكتشافات التي قام بها الباحثة لأنه ليس من أهداف هذا المقال ، فهناك العديد من المقالات وحتى أطروحتها التي نشرت في شكل كتاب مع الملاحظات الإضافية التي تبعت هذا العمل وخاصة من طرف لابورت الذي أطّر عمل الباحثة في عام 2005 بمزيد من التعليقات واللوحات والمراجع[14]. بدأت الباحثة بالكشف عن الجدار (أ) الذي أثبت أنه الأكثر أهمية بسبب العناصر المعمارية التي تشكل مجموعة دينية ذات أهمية كبيرة ، حيث اكتشفت سورا يحد فناًء واسعا يزيد عرضه عن 50 مترًا على كل جانب والذي كان تم ملؤه جزئيا. وقد أظهرت الباحثة أن الجدار (أ)، على الرغم من هياكله الداخلية المعقدة ، قد بني حول قلب مربع الشكل. يعتبر الجدار (ب) هو الأصغر ، ولا يحتوي على النظام المعقد من المعارض والغرف التي تحيط بالنواة المركزية ، كما هو الحال في الجدارين الآخرين و قد كشفت أعمال التنقيب أن الحفرة التي كانت جوانبها محاطة بألواح حجرية على الحافة كانت تحتوي على تابوت خشبي. كما سمحت حفرياتها في الجدار (ج) باستكمال التنقيب في الموقع بعد أن كان محل حفر وتنقيب مسبق. تحتوي مقبرة تيرناتن ، على قمة جبل العروي ، على حوالي عشرة أضرحة ، معظمها مدمر ، باستثناء الأكبر ، وهو الجدار (F) المسمى محليًا تيرناتن وأيضًا "الكسكاس" .

5- المناصب العلمية و الإدارية:

---

12 Gsell (S), les monuments antiques de l'Algérie, t II, Paris 1901, pp. 418-427

13 G. Camps, « Djedar », Encyclopédie berbère, 16 | 1995, document D63, mis en ligne le 01 juin2011,consultéle24septembre2023.URLhttp://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2177; DOI : https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2177

14 Laporte Jean-Pierre, « les djedars, monuments funéraires berbères de la région de Frenda et de Tiaret (Algérie) » identités et culture dans l'Algérie antique, publications des universités de Rouen et du Havre, 2005.

رأينا فيما سبق تعيين الباحثة في سنة 1966 ملحقا بالبحث لمصلحة الآثار الجزائرية ، بعدها يتم ترقيتها و تعيينها نائبة مدير الآثار بوزارة الثقافة مع زميلها عبد الرحمن خليفة الذي كان نائبا للمديرية العامة للآثار. مدير الآثار والمتاحف والمعالم التاريخية آنذاك كان السيد بوشناقي. بعد مغادرة هذا الأخير لمنصبه متجها نحو مقر اليونسكو في 1981-1982 ، خلفته فاطمة قادرية خضرة وتم تعيينها مديرة للآثار والمتاحف والمعالم التاريخية و مفتشة مسؤولة عن الدراسات والتوليف (CES). في عام 1987 ، تم تعيينها مديرة للمتحف الوطني الشهير باردو ، وهو المنصب الذي شغلته لمدة ثلاث سنوات قبل أن تعود إلى مبنى الوزارة عام 1990 مفتشة في وزارة الثقافة مسؤولة عن الدراسات والتوليف إلى غاية تقاعدها عام 2000. أظن أن العمل في هذه الإدارات هو العامل الأساسي في غيابها عن ميدان الحفر بالتنقيب ، الميدان الذي طالما سعت لأجله وقدمت كل ما تجود به علميا و إنسانيا.

لقد كانت فاطمة قادرة ، حسب الشهادات ، ملتزمة تماما بالمهام التي كانت مسؤولة عنها ، وإذا كانت مجلة الآثار الجزائرية تصدر في الوقت المحدد وفي الظروف الجيدة بدون أخطاء مطبعية ، فهذا كان بفضل فاطمة التي كانت ضمن هيئة التحرير[15]. وبحسب الشهادات ذاتها ، فقد ساهمت في إطلاق مشروع جرد سيشمل كافة المواقع الأثرية في الجزائر ، بدءا بمنطقة تيارت كولاية نموذجية ، فضلا عن تكوين جيل جديد من علماء الآثار

6- المنشورات و المؤلفات:

1977-1979	Les Recherches et Travaux du Bulletin d'Archéologie Algérienne, T.VII
1979	Der Djeddar von Djebel Lakhdar, ein spates Berber monument, Die Numider,Rheinland-VerlagGmBH,Koln
1981	Mosaïque funéraire inédite de Tébessa, in Antiquités

15إطلاق مجلة الآثار الجزائرية (BAA)، لتحل محل مجلة (Libyca) -آثار-نقوش ، التي كانت تصدرها إدارة الآثار في العهد الاستعماري ، والتي كان عنوانها يخاطر بإحداث خلط مع عنوان مجلة (Libyca) -أنثروبولوجيا-ما قبل التاريخ-إثنوغرافيا ، التي يصدرها مركز الدراسات والبحوث الأثرية. مركز الأبحاث حول الآثار والإثنوغرافيا ما قبل التاريخ (CRAPE)، الذي أشرف عليه مولود معمري الذي خلف البروفيسور غابرييل كامبس في عام 1969

	Africaine,17 (1)
1984	Les Djeddars, monuments funéraires berbères de la région de Frenda,OPU
1988	Note complémentaire sur les Djeddars de Frenda , B.B.A.
1989	Rapport sur les récentes découvertes en Algérie, Actes du XI e congrès international, d'archéologie chrétienne, Lyon Vienne, Grenoble, Genève, Aoste, Collection de l'Ecole Française de Rome
1989	Nécropoles tardives de l'antique Theveste : mosaïque et mensa, L'Africa romana
2014	Post Mortem : Les Mausolées Royaux de l'Algérie Antique, in : l'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances, ministère de la culture, CNRA

لا يوجد كثير من المنشورات للباحثة ويمكن تفسير ذلك بحقيقة أنها تولت مسؤوليات إدارية أوقفت عطاءها العلمي المشور ، حتى أطروحتها التي كان من المفترض أن تكون نتائجها موضوعًا للعديد من المقالات ، لم تتمكن من نشرها إلا في عام 1983 في شكل كتاب[16]. هذا إلى جانب عدد قليل من المقالات يبلغ عددها أربعة تتناول أضرحة الجدارو مقالين عن اكتشافات غير منشورة في مقبرة ثيفيست الرومانية. أحدث إصدار لها كان بعد فاتها و هو تقرير نُشر في عام 2014 ، في الكتاب الذي ذكرناه في المقدمة وكان مسودة في أوراق الباحثة.

7- شهادات من رفقاء الدرب:

16 Fatima Kadaria Kadra, Les Djedars: monuments funéraires Berbères de la Région de Frenda, Office des Publications Universitaires, 1983.

كانت فاطمة قادرة خضرة باحثة مثابرة وضعت خبرتها ومعرفتها في خدمة زملائها بسخاء كبير وفيما يلي شهادتين من زميلين لها ، عبد الرحمن خليفة الذي عرفته في كلية الجزائر والذي أصبح فيما بعد زميلها الذي تقاسمت معه المسؤوليات داخل الكلية و مصلحة الآثار و وزارة الثقافة. الشهادة الثانية هي شهادة جان بيير لابورت الذي عمل معها في الميدان أثناء حفريات الجدار وشاركها اللحظات الرائعة للاكتشافات الأثرية و قاسمها صعوبات العمل دون توفر للإمكانيات. أود أن أشكرهم على لطفهم في الاستجابة بشكل إيجابي ودون تردد لطلبي.

عبد الرحمن خليفة (مؤرخ وعالم آثار وكاتب): "إلتقيت بفاطمة قادرة خضرة أثناء أعمال التنقيب في تبسة حيث كان بول ألبرت فيفرييه قد أخذ الباحثين الأوائل من مصلحة الآثار للمشاركة في أعمال التنقيب في مدرج تبسة في يونيو 1965 ، حيث كان مدير التنقيب هو روبرت ليكويمنت. ثم وجدتها مرة أخرى زميلة لي عندما تم تجنيدي في مصلحة الآثار في سبتمبر 1969 مع منير بوشناقي و رشيد دوكالي. بدأت دراستها للتاريخ في باريس قبل أن تكمل دراستها في كلية الآداب بالجزائر. لقد تم تجنيدها في مصلحة الآثار بالجزائر العاصمة مع منير بوشناقي ، رشيد دوكالي ، روبرت ليكويمنت وأنا. كانت فاطمة مسؤولة عن مجلة الآثار الجزائرية لجمع وتصحيح المخطوطات قبل نشرها. وفي الوقت نفسه ، سجلت لدى بول ألبرت فيفريه لموضوع أطروحتها حول الجدار في منطقة تيارت التي كانت تعيش فيها. كانت مهمة صعبة في ذلك الوقت بالنسبة للمرأة لأن المنطقة كان من الصعب جدًا الوصول إليها وكانت منطقة الجدار معزولة عن أي سكن. لقد قامت بالحفريات في ظروف صعبة للغاية. باعتبارها امرأة ، كان عليها أن تواجه العديد من سوء الفهم لأنه في ذلك الوقت كان هناك عدد قليل من الجزائريين الذين يتعاملون مع علم الآثار و كانت المرأة الوحيدة ضمن فريق صغير وقامت بعدة حملات تنقيب أسفرت عن الدفاع عن أطروحة الدكتوراه في عام 1974. في إكس أون بروفانس ، تحت عنوان "الجدار ، الآثار الجنائزية البربرية في منطقة فرندة". كانت أول عالمة آثار في الجزائر المستقلة. كنا زملاء في وزارة الثقافة ، هي مديرة مساعدة للآثار وأنا مديرة مساعدة للمعالم التاريخية تحت إشراف منير بوشناقي ، مدير الآثار والمتاحف والمعالم التاريخية آنذاك ، لسنوات عديدة. قامت ببدء عملية جرد للمعالم التاريخية بولاية تيارت. شغلت مناصب مختلفة في وزارة الثقافة ، نائب مدير الآثار والمتاحف ، مدير الآثار والمتاحف والمعالم التاريخية ، مفتش مسؤول الدراسات والتوليف (C.E.S). »

جان بيير لابورت (عالم آثار متخصص في شمال أفريقيا): "عندما أفكر في فاطمة قادرة ، تتبادر إلى ذهني كلمتان على الفور: الإعجاب والامتنان. إعجابي بها يأتي من حقيقة أنها ،

باعتبارها أول عالمة آثار جزائرية ، أدخلت العالم الليبي في البحث والنقاش التاريخي الجزائري ، في وقت حيث كان التاريخ القديم مجرد أسطورة. على سبيل المثال ، و لقد تمكنت من مقاومة كل الضغوط وأكملت بنجاح ليس فقط أعمال الحفر ، بل وأيضًا نشر عملها عن الجداريات (1983). كان المنشور للأسف خاليًا ، وليس بالضرورة من قبيل الصدفة ، من اللوحات التي تم إعدادها جميعًا لتوضيحه (مع موافقة فاطمة ، تمكنت من نشر بعضها في عام 2005). إن شكري لفاطمة يرتكز على نقاط محددة. من المؤكد أنني أثناء استعدادي لزيارتها قرأت وأعدت قراءة كتاب غابرييل كامبس "الآثار الجنائزية البدائية" (1961) خلال صيف عام 1969 ، لكنه ظل مجرد كتاب تجريدي بعض الشيء بالنسبة لي. عند وصولي إلى الجزائر في أكتوبر 1969 ، أرسلني مدير الآثار الجزائرية ، سيد أحمد باغلي ، إلى تيزي وزو ، وكلفني بإجراء جرد أثري للولاية ، تحت إشراف عبد الرحمن خليفة في الجزائر بما أنني أعرف الآثار الرومانية في فرنسا. لقد رأيت في البداية أشياء "رومانية" فقط في الجزائر وخاصة المدن القديمة. لكن رؤيتي تغيرت بعد بضع أشهر عندما طلب مني سيد أحمد باغلي المشاركة في آخر حملة تنقيب مع فاطمة في الجدار عام 1970. وكان ذلك لإغلاق الموقع ، من خلال رسم المخطط العام وإنشاء صورة غلاف كاملة. كما قمنا بإكمال أعمال الحفر في "غرفة الحضانة" لجدار (ب) مع مقعديها خلف الدولاب الحجري الكبير الذي كان يغلقها. لقد أظهر لي العمل في الجدار ، تحت إشراف فاطمة ، أنه كان هناك شيء آخر غير "الرومان" ، ولكن بقايا مملكة ليبية بربرية ، وأنها كانت مثيرة للاهتمام بنفس القدر ، إن لم يكن أكثر. علمتني فاطمة أن "أرى" (نحن لا نرى جيدًا إلا ما نعرفه قليلاً على الأقل) وأن أبحث بوسائل قليلة ، ولكن بكفاءة. كانت الوسائل هي تلك المتاحة في ذلك الوقت ، بدون نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) ، وبدون صور الأقمار الصناعية ، وبدون معدات متطورة. في كل مساء ، أثناء تناول الطعام ، كانت فاطمة تعرّفنا المعالم الجنائزية. وقد حدد هذا الكثير من أبحاثي اللاحقة ، حتى يومنا هذا. عندما عدت إلى تيزي وزو ، بدأت أهتم ، على سبيل المثال ، بالقبور الليبية المغطاة ، دون أن أنسى بالطبع ا أضرحة الجدار التي لا أزال أفكر فيها. أنا ممتن للغاية لفاطمة خضرة. إن تسمية قاعة في جامعة تيارت باسم فاطمة خضرة سيكون بمثابة تكريم مستحق لأول عالمة آثار جزائرية. وتتمتع بمكانة دولية مرموقة تشرف الجزائر ومنطقة تيارت بأكملها. »

الخاتمة:

حصلت فاطمة قادرية على تكوين علمي من خلال الأطوار الدراسية العادية و صولا إلى التعليم الجامعي في السوربون و جامعة الجزائر و تخرجت كأول عالمة آثار في الجزائر المستقلة. تمكنت فاطمة من إدارة كافة المواقف وإتمام دراساتها ومهامها كعالمة آثار مسؤولة عن الحفريات.

تم تشكيل أول هيئة لعلماء الآثار المبتدئين الجزائريين بين عامي 1962 و1967 ، بدأت فاطمة وزملاؤها العمل الميداني مباشرة من خلال الحفريات الإنقاذية في مواقع عديدة خلال عامي 1968 و1969 ، إشتغلت الباحثة ملحقا بالبحث في مصلحة الآثار منذ عام 1966 وعينت على رأس البعثة الأثرية للتنقيب في معلم الجدار عامي 1968-1969 ، الجدار (أ)، (ب)، و(ج)، بالإضافة إلى إعادة ترميم مدخل جدار (ف). ، بعدها يتم ترقيتها و تعيينها نائبة مدير الآثار بوزارة الثقافة ثم عينت مديرة للقطاع في 1981-1982 ،. في عام 1987 ، تم تعيينها مديرة للمتحف الوطني الشهير باردو ، وهو المنصب الذي شغلته لمدة ثلاث سنوات قبل أن تعود إلى مبنى الوزارة عام 1990 مفتشة في وزارة الثقافة مسؤولة عن الدراسات والتوليف إلى غاية تقاعدها عام 2000.

أشهر أعمالها والتي لا يزال مرجعا علميا مهما هي الدراسة الميدانية لموقع الجدار ، هذه الأضرحة التي يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والسابع للميلاد. هكذا بدأت رحلة أول عالمة آثار في الجزائر المستقلة ، والتي ستتوج بمناقشة أطروحة دكتوراه تحت عنوان " Monuments funéraires berbères de la région de Frenda " تحت إشراف بول ألبرت فيفري ، بدعم من 1974 ، في جامعة آكس أون بروفانس بمرسيليا.

لقد كانت فاطمة قادرة ، حسب الشهادات ، ملتزمة تماما بالمهام التي كانت مسؤولة عنها ، وإذا كانت مجلة الآثار الجزائرية كانت تصدر في الوقت المحدد وفي الظروف الجيدة بدون أخطاء مطبعية ، فهذا كان بفضل فاطمة التي كانت ضمن هيئة التحرير. وبحسب الشهادات ذاتها ، فقد ساهمت في إطلاق مشروع جرد سيشمل كافة المواقع الأثرية في الجزائر ، بدءا بمنطقة تيارت كولاية نموذجية ، فضلا عن تكوين جيل جديد من علماء الآثار

لا يوجد كثير من المنشورات للباحثة ويمكن تفسير ذلك بحقيقة أنها تولت مسؤوليات إدارية حدّت من منشورتها العلمية الميدانية ، حتى أطروحتها التي كان من المفترض أن تكون نتائجها موضوعًا للعديد من المقالات ، لم تتمكن من نشرها إلا في عام 1983 في شكل كتاب. هذا إلى جانب عدد قليل من المقالات يبلغ عددها أربعة تتناول

أضرحة الجدار و مقالين عن اكتشافات غير منشورة في مقبرة ثيفيست الرومانية. أحدث إصدار لها كان بعد فاتها وهو تقرير نُشر في عام 2014 ، في الكتاب الذي ذكرناه في المقدمة وكان مسودة في أوراق الباحثة. توفيت الباحثة فجر يوم 4 يناير 2012 ، رحمة الله عليها.

المصادر والمراجع:

1- Beghdadi- Rebahi, Ymouna, « L'institutionnalisation des services du patrimoine Algérien (1962- 1975) à la recherche d'une voie » , 2020 جوان ،12.ع ،مجلة قضايا تاريخية, pp 143-160.
2- Bouchenaki Mounir, l'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances, Hommage à Kadria Fatima Kadra, CNRA, imprimerie Mauguin, Blida, 2014
3- Bouchenaki Mounir, « Enjeux et défis des premières années de l'Archéologie algérienne (1966-1976) », Hespéris-Tamuda LVII (2), 2022, pp. 481-503
4- Camps Gabriel., « Djedar », *Encyclopédie berbère* [En ligne], 16 | 1995, document D63, mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 24 septembre2020.URLhttp://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2177DOIhttps://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2
5- De la blanchere René, archive des missions, 3eme series, X, 1883
6- Gsell Stéphane, les monuments antiques de l'Algérie, t II, Paris 1901
7- Kadra Fatima Kadaria, Les Djedars: monuments funéraires Berbères de la Région de Frenda, Office des Publications Universitaires, 1983
8- Kadra-Hadjadji Houaria, l'affirmation de l'identité dans l'Algérie antique et médiévale, combats et résistances, Hommage à Kadria Fatima Kadra, CNRA, imperimerie Mauguin, Blida, 2014.
9- Laporte Jean-Pierre, « les djedars, monuments funéraires berbères de la région de Frenda et de Tiaret (Algérie) » identités et culture dans l'Algérie antique, publications des universités de Rouen et du Havre, 2005.